



ISSN: 2074-9554 (Print)

Journal of Al-Frahedis Arts

available online at: <http://www.jaa.tu.edu.iq>

JOFA
Journal
of Al-Frahedis Arts

Al'amir Shakib Arslan: His writings and methodology in the Writing of Andalusian History

الامير شكيب أرسلان: مؤلفاته ومنهجه في كتابة التاريخ الأندلسي

م.د. مرتضى عبدالرزاق مجيد
م. نشتيمان علي صالح

Lecturer.Dr. Muradha Abdul-Razaq Majid
Lecturer. Nishtiman Ali Salih

Duhok University / College of Education – Aqra / Department of History

جامعة دهوك / كلية التربية - عقرة / قسم التاريخ

E-mail: jaa@tu.edu.iq

Article info.

Article history:

- Received
- Accepted

Keywords:

- Shakib Arslan
- Andalus
- History

Abstract: The name 'Shakeeb Arslan' has been repeated a lot during my research in the history of Andalus and Morocco. I was asking myself: what is the connection between this eastern author and thinker and the movements of liberalizations in the Arab east and west with the study of the history of Morocco and Andalus? The name of the prince Shakeeb Arslan is associated with works that show the history of Muslims' star in North Africa, Spain, south French and Europe. It can be said that among the first thinkers and historians of the east who wrote about the history of Muslims and Andalus in the Pleistocene and is really considered the founder of the historian school in the east. It determined recently on following up Prince Arslan's activity in the field of writing Islamic history for Morocco and Andalus and showing its writings and approach. He is considered one of the important literary figures whose interests were varied. He was able of entering many fields achieving a great deal of culture and sciences. He was known as a: author, poet, journalist, historian, agitator, Politian, translator and examiner who is worth studying.

الخلاصة: كثيراً ما تردد أسمى اسم شكيب أرسلان أثناء بحثي في تاريخ الأندلس، وكنت أسأل نفسي أسئلة منها: ما علاقة هذا الأديب المشرق وهو أحد أبرز دعاة حركات التحرير في المشرق والمغرب العربي بدراسة تاريخ الأندلس؟ فقد اقترن اسمه بأعمال تبرز تاريخ المسلمين في إسبانيا وجنوب فرنسا وأوروبا، فيعد بحق من أوائل مؤرخي المشرق العربي الحديث ممن وثقوا تاريخ المسلمين في الأندلس خلال العصر الوسيط، فهو بحق مؤسس المدرسة التاريخية المشرقية عن تاريخ الأندلس، فعزمت على تتبع نشاطه في مجال كتابة التاريخ الإسلامي للمسلمين في الأندلس على الأقل، وبيان ماصنفه وحققه من كتب تاريخية ومنهجه في ذلك، فهو من الشخصيات المهمة الذي تنوعت مجالات اهتماماته، وعلى قدر غزيراً من الثقافة والعلوم، فعرف كأديب وشاعر وصحفي ومؤرخ وداعية وسياسي ومترجم ومحقق وذلك - دون أدنى شك - ما يجعله جديراً بالدراسة والبحث.

التمهيد:

كان شكيب من أكثر الدعاة إلى الوحدة العربية حماساً، ومن أشدهم إيماناً بأهميتها وضرورتها لمواجهة الهجمة الاستعمارية على العالمين العربي والإسلامي، والخروج بالأمة من حالة التفكك والتشرذم والضياع التي أرادها لها المستعمر، حتى يسهل له السيطرة على أهلها والاستيلاء على خيراتها ومقدراتها عاش في جبل لبنان، والذي يُعد من أبرز مفكري ودعاة الوحدة الإسلامية والعربية بين سنة (1286-1366هـ/1869-1946م)، متنقلاً بين شتى البلدان العربية والإسلامية والأوربية، مناضلاً بالفكر والعمل السياسي لنصرة المسلمين وقد نذر نفسه في خدمة الثقافة العربية وإيماناً بالوحدة الإسلامية التي كان له فيها رأيه، لقد كان طوال سنوات نضاله وحياته ما اتاح له من الوقت لكي يكتب عدداً كبيراً من الدراسات والكتب المتنوعة التي جعلته يلقب بـ أمير البيان (1).

أولاً: بنو أرسلان.

يرجع أصل أسرة بنو أرسلان (2) إلى مالك بن بركات الذي يعود نسبه إلى المنذر الخامس المعروف بالملك المغرور بن النعمان الثالث أبي قابوس ممدوح الشاعر النابغة الذبياني، فبنو أرسلان ينتسبون في الأصل إلى قبيلة التتوخيين الذين هاجروا من اليمن إلى العراق، وهم من أعرق البيوت التي تزعمت العرب قبل الإسلام (3). فقد كان جده الأكبر الأمير عون (ت: 13هـ/634م) ممن انتقل بصحبة القائد خالد بن الوليد (ت: 21هـ/642م) لنجدة القائد أبي عبيدة عامر بن الجراح (ت: 18هـ/639م) قائد الجيوش الإسلامية في الشام من قبل الخليفة أبي بكر الصديق (11-13هـ/632-634م) خلال فتوح الشام، وشهد ابنه الأمير مسعود المعروف بقحطان واقعة اليرموك سنة (13هـ/634م) بألف وخمسمائة من أصحابه، وشهد أيضاً واقعة قنسرين وقام ابنه المنذر بغزوات عديدة، ثم شهد الأمير بركات واقعة نهر الزاب التي هزم فيها مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية على يد بنو العباس سنة (127-132هـ/744-749م) (4).

استقر بنو أرسلان طوال العصرين الراشدي والأموي في معرة النعمان الواقعة ما بين حلب ودمشق حتى قيام الخلافة العباسية، ثم انتقلوا منها أيام الأمير أرسلان بن مالك (ت: 171هـ/787م) بصحبة أخيه المنذر بأمر من الخليفة أبي جعفر المنصور (136-158هـ/745-775م) من معرة النعمان إلى جبل لبنان، وهي ناحية يسكنها الدروز آنذاك (5) لكنه لم يكن وعائلته معتنقين للمذهب الدرزي (6) لحرب حلفاء الروم البيزنطيين من المردة (الجراجمة) (7) الخارجين على طاعة الخلافة في منطقة الثغور الواقعة ما بين بلاد الإسلام وبلاد الروم، حيث دفعت تلك الأحداث الخليفة المنصور إلى الانتقال لدمشق ليكون قريباً من الثغور الشامية واتخاذ الإجراءات اللازمة لحمايتها من غارات الروم سنة (140هـ/758م)، فاستقبل هناك الأميرين المنذر وأرسلان بن مالك هناك فرحب بهما واختارهما للسكن في ساحل الشام مع قومهم بعد أن عرف بشجاعتهم، ليحفظوا له على طريق الساحل الذي هدده المردة وامتد خطرهم إلى داخل البلاد نحو مدينتي حمص وحماه، وعجز عمال

الخليفة هناك عن التصدي لهم لتحصنهم بجمال المنطقة، فطلب منهما ان يسكنا في الجبال القريبة من بيروت التي كانت خالية ورغبهما بالإقامة هناك، بأن أنعم عليهما اقطاعات معلومة، فسارا معه من دمشق فأتوا منازلهم ونادا بالرحيل عنها لشدة ماكانوا يعانونه من القحط وتضييق الأمويين لهم قبل ذلك، فنهض أرسلان يسابق العشيرة وكان أول نزولهم بحصن وادي تيم الله* بن ثعلبة، ونزل في الحصن المعروف بحصن أبي الجيش منتظراً قدوم بقية قومه بصحبة أخيه(8).

وفي سنة (142هـ/759م) نصب الأميران أرسلان والمنذر مضارب القبيلة جنوبي المغيثة في جبل لبنان فكانا يجوبان البلاد بعشيرتهما ثم يرجعان اليها حتى تحولا عنها وتفرقا بقومهم في البلد فيما بعد، فعمرروا الجبل فاستوطن المنذر حصن سلحمور، بينما اقام أرسلان في سن الفيل، واقام حسان بن خالد بن مالك في طردلا، ونزل كلاً من عبدالله بن النعمان بن مالك في كفرا، فوارس بن عبدالملك بن مالك في أعبية، وتفرق باقية المُقَدِّمين وعشائهم في البلاد وكانوا اثني عشر مُقَدِّماً فعمرروا الساحل ومَصَّرُوا الثغور وأخذوا يغزون المردة بالساحل ويؤمنون الطريق(9)، ولما قدم الخليفة المهدي (158-169هـ/775-785م) في سنة(163هـ/780م) إلى دمشق سار إليه الأميران أرسلان والمنذر وقابلاه بالقرب من دمشق في قرية المزة فاستقبلهما وأجرى عليهما الخُلع، واستغل المردة خروجهما عن الجبل فهاجموا الساحل مابين طرابلس وصيدا فرجع الأميران إلى المنطقة وتصدوا للمردة في واقعتين شهيرتين احدهما عند نهر الموت بين جبيل وبيروت وسمي بذلك لكثرة ماوقع فيه من قتلى، وكانت الأخرى عند انطلياس على الساحل الشمالي لبيروت وقتل فيها من الطرفين أكثر من ثلاثمائة شخص وانتهت الحرب بانتصار بنو أرسلان وإبعاد خطر المردة عن الساحل، وعلى إثر ذلك أقرهما المهدي على مناطقيهما، وزاد لهما من النفوذ وأجرى لهما الخُلع والإقامات الكافية.وبذلك ظهرت في المنطقة أول إمارة إسلامية وهي الإمارة التنوخية ومركزها في جبل الشوف وإقليم الغرب في شرق بيروت، ومن الشمال جبال كسروان والجبال الشمالية الذي يقطنه النصارى من طائفة الموارنة(10).

وبعد وفاة الأمير أرسلان سنة(171هـ/787م) أيام خلافة هارون الرشيد(170-193هـ/785-808م) بعد ان ناهز الستين عاماً فتولى زعامة بنو أرسلان أخوه الأمير المنذر بن مالك، وقام المردة بمهاجمة الجبل فالتقاهم ابن أخيه الأمير مسعود بن أرسلان في قرية سن الفيل بالقرب من بيروت فدفعهم عنها وهزمهم وقتل منهم مقتلة كبيرة، وأغار على قراهم أسفل الجبل مدمراً ومحرقاً لها سنة (174هـ/791م)(11). وفي سنة (182هـ/799م) فانتقل الأمير مسعود بعشيرته إلى الشويفات* وبنى فيها المساكن واتخذها مسكناً له، وكانت غير معمورة فعمرها حتى صارت قرية كبيرة، وجاوره في السكنى فيها أخواه الأميران مالك عون،بينما استوطن بقية الأخوة في راس العين على الساحل الجنوبي لبيروت،محمود في خلدة، وهمام واسحاق في الفيحينة، ولما

توفي الأمير المنذر سنة (183هـ/800م) في حصن سلحموور خلفه في الزعامة الأمير مسعود بن أرسلان أميراً على المنطقة (12).

استمر بنو أرسلان على ولائهم للخلافة العباسية، وبلغت إمارتهم أقصى اتساعاً لها في عهد الخليفة المأمون (198-218هـ/811-831م) وازدادت قوتهم حتى أنهم شاركوا في الحروب خارج الشام، عندما استعان بهم المأمون في قتال الخارجين عليه في مصر سنة (216هـ/831م)، ونتيجة شجاعتهم في تلك الحروب كتب المأمون لهم بالولاية على الجبل والمقاطعات المتصلة ببلادهم (13)، وعلى إثر وفاة الأمير مسعود سنة (222هـ/837م) انقسم بنو أرسلان إلى قسمين على إثر الخلاف للزعامة مابين الأمير هاني بن مسعود وعمه الأمير مالك وانتهى النزاع بزعامة الأمير هاني بن مسعود، وانتقال الأمير مالك بعائلته وبقسم من بنو أرسلان إلى مصر فاستوطنها، وقد أثبت الأمير هاني جدارته في الزعامة والقيادة والدفاع عن الإمارة وقتال المردة والانتصار عليهم في أكثر من واقعة حتى لقب بالغضنفر أبي الأهوال، وبلغت أخباره الخلافة العباسية فكتب إليه القائد خاقان التركي سنة (230هـ/845م) كتاباً يشكره فيه على ما فعل ويحثه على حرب المردة، ويخبره أنه بلغ حسن سلوكه إلى مسامح الخليفة الواثق بالله (225-227هـ/839-841م) فأقره على عمله وقومه حتى وفاته سنة (237هـ/852م)، ثم أعقبه الأمير إبراهيم بن إسحاق بن أرسلان الذي حصل على توكيل الخليفة المتوكل (232-247هـ/846-861م) بالزعامة على الجبل سنة (242هـ/857م) (14).

وفي سنة (262هـ/875م) هاجم المردة ديار بنو أرسلان حتى وصلوا نهر بيروت الواقع في الشمال الشرقي أيام ولاية النعمان، على بُعد بضعة أميال فتصدى لهم ودار قتال عظيم بين الطرفين انتهى بهزيمة المردة، وكتب النعمان إلى القائد موسى بن بغا يخبره بالواقعة، وأرسل بالروؤوس والأسرى إلى بغداد لعرضها على الخليفة، فأكرم رُسل النعمان وسر بنصرهم فكتب إليه الخليفة كتاباً يمدح فيه همته وشجاعته ويحرضه على القتال وأقر بالولاية له ولذريته ووخلع عليه سيفاً ومنطقاً وشاشاً أسوداً يمثل شعار العباسيين (15). وبذلك قامت أول إمارة لهم في لبنان استمرت ثمانية قرون متواصلة حتى سنة (922هـ/1516م) وحاربت الصليبيين وانتصرت عليهم في عدة وقائع، وقدمت الشهداء من الأمراء دفاعاً عن الساحل، وانحصرت ولايتهم بالغرب الأدنى بعد معركة عين دارة* سنة (1122هـ/1710م) وتولى بعض أمرائها حكم القائمقامية الدرزية سنة (1258-1278هـ/1842-1861م)، واشتهرت الأسرة في شتى الميادين ومن أشهر افرادها أحمد وأمين ويوسف ونسيب وعادل ومحمد وطلال وشكيب (16) حتى قيل في أمراء هذا البيت أمراء سيف وقلم وحملة علم وعلم (17).

ثانياً: ميلاده ونشأته.

حياة شكيب أرسلان ليست خفية، فقد تناولها بالبحث والدراسة عدد كبير من الكتاب العرب والأجانب، فأسرته مشهورة في التاريخ وتحظى بالشرف والمجد بنصيب واسع، ولد بقرية الشويفات في بيت أسرته الواقعة في حارة الأمراء محلة ال أرسلان بالقرب من بيروت سنة (1286هـ/1869م)، ولد لأب كانت له مكانته ومنزلته وهو الأمير حمود (1305هـ/1887م) الذي كان مديراً لناحية الغرب الأسفل، أما أمه فقد كانت سيدة شركسية الأصل فاضلة عمّرت طويلاً كان شكيب يحبها ويجلها ومتعلقاً بها إلى درجة كبيرة (18).

ثالثاً: دراسته وتعليمه.

ندب له والده من يقوم بتعليمه القراءة والكتابة لما بلغ الخامسة من العمر، فدخل المدرسة (السورية-الانجيلية) (19)، في حارة العمروسية بالشويفات درس فيها حتى سنة (1296هـ/1879م) ومن ثم التحق بعدها بمدرسة الحكمة (20) في بيروت لمؤسسها المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة الطائفة المارونية (22) وكانت مدرسة مشهورة بتعليم اللغة العربية فمكث بها حتى سنة (1304هـ/1886م)، واتصل فيها بالإمام محمد عبده (ت: 1323هـ/1905م) أثناء نفيه من القاهرة إثر إخفاق ثورة محمد عرابي (1300هـ/1882م)، عندما زار المدرسة سنة (1304هـ/1886م) بعد ان وصل إلى اسماعه نجابته، فانظم شكيب إلى حلقة الدراسية وصار يتردد عليه (23) والتحق في السنة نفسها بالمدرسة السلطانية (24)، وبسن التاسعة عشر انتقل من بيروت إلى دمشق سنة (1307هـ/1889م) فحضر هناك مجلس مفتي الشام الشيخ محمد المنيني (1251-1316هـ/ 1835-1898م)، وفي سنة (1308هـ/1890م) (26) انتقل من الشام إلى مصر لمواصلة تعلمه فلمع اسمه هناك بعد أن أخذت مقالاته تنتشر ومن هناك سافر بعدها إلى إستانبول (27).

رابعاً: الحياة السياسية العلمية في عصره.

عاش شكيب أرسلان أكثر من بضع وسبعون عاماً، لم تكن هذه الأعوام التي قربت من الثمانين عاماً هادئة في تاريخ البلاد والمنطقة بل كانت حافلة بالأحداث العظيمة في الشرق والغرب بصفة عامة وفي موطنه - لبنان - بصفة خاصة. فهناك أحداث الفترة الأخيرة من الحكم العثماني الذي عاصره، والشقاق ما بين الاخوة العرب والأتراك، والتنازع بين الطوائف والأديان في الدولة العثمانية، وتغلغل النفوذ الاستعماري، وظهور التيارات الفكرية المتأثرة بالغرب، وبقظة العرب وقيام الحربين العالميتين، والاختلاف بين مفكري الامة في المنازع والمشارب وقيام الثورة العربية الكبرى وتمزق العالم العربي واقتسامه بين القوى الاستعمارية بعد الحرب العالمية الاولى، وانطلاق الثورات ضد المستعمر (28).

تولى شكيب وظائف إدارية في الشام خلال الحكم العثماني، وشارك في أحداث حرب طرابلس الغرب ضد الغزو الإيطالي (1330-1331هـ/1911-1912م) (29)، وانتخب لمجلس

المبعوث العثماني(30) ودعم موقف الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، وإن اختلف مع سياسة جمال باشا السفاح على الشام والحجاز ، الذي حكم باعدام عدد من الزعماء العرب، فغادر الشام إلى إستانبول سنة (1335هـ/1916م) وبعد الحرب استقر في مدينة لوزان بسويسرا ثم في جنيف ولم يرجع إلى سورية إلا سنة(1356هـ/1937م)(31).

كانت قضية الوحدة العربية مسألة مهمة أولاها كل اهتمامه، ورهن عليها كل حياته ، فتعرض بسبب مواقفه الوطنية للاضطهاد من المستعمر، وحيكت ضده المؤامرات العديدة من أذنايه تمثلت بحملات التشويه والافتراءات(32)، فقد كانت البلاد خلال القرن التاسع عشر منصرفة عن العلم والأدب لقلة المدارس وندرة الكتب وعدم انتشار الطباعة، لكن سرعان ما أخذت الطباعة بالانتشار، وشُيّدت المدارس وذلك في النصف الثاني منه، ثم ظهرت الصحف وتكوّنت الجمعيات العلمية وزادت المدارس شيئا فشيئا (33).

خامساً: وفاته.

كانت وفاته فاجعة ومصيبة المت بكل الأحرار، في وقت كانوا ينتظرون - بفارغ الصبر - عودته، فاهتز العالم الإسلامي والعربي حزناً لرحليه، ففي سنة (1365هـ/1945م) بعد ان تحررت سوريا ولبنان، عاد إليها في أواخر سنة(1366هـ/1946م) فاستقبل استقبالاً حافلاً، ولكن حالته الصحية لم تمهله الوقت وكانت قد ضعفت بعد تلك السنوات الطويلة من الاغتراب وكثرة المرض، فما لبث أن توفي في(1366هـ / 1946م)، فألقيت في تابينه الخطب ونظمت القصائد ومما قيل فيه:

هوى كوكب الشرق أرسلان * فكل فؤاد فيه هم وأحزان (34).

سادساً: ثقافته الشخصية واراؤه.

عرف عنه التدين والتحفظ ومحبة التعلم والحرص على القراءة والترحال، وتأثر بعدد كبير من أعلام عصره ممن تتلمذ على أيديهم أو اتصل بهم في حياته، ولم يقتصر دوره على الاهتمام بقضايا الأمة العربية والإسلامية وإيقاظ الهمم وبعث الوعي فقط، وإنما اخذ يشرح قضيتهم ويفضح المستعمر ويكشف زيف وخداعهم لكثير من بلدان العالم، فارتحل إلى أوروبا وأمريكا لبيان ذلك واستقبل في كل بلد زاره ونشر العديد من المقالات التي تفضح المستعمر، والحالة الأليمة لكثير من البلدان التي

تعاني من الاستعمار(35).

تعتبر جميع مؤلفاته القيمة السياسية والأدبية والعلمية والتاريخية عن منهجه وأسلوبه الذي اتسم بالفصاحة والقوة والتفكير والتمكن من اللغة وسلاسة العبارة ودقة التعبير والبراعة في التصوير وربط الحاضر بالماضي بأسلوب بسيط مقنع، أما رايه بالناحية الثقافية لعصره، فقد كان يناشد الدول العربية ومجالسها العلمية ووزارات المعارف فيها. أن تعمل بيد واحدة مجتمعتاً لجمع نفائس

المخطوطات الحضارة الاسلامية المتناثرة في مختلف مكاتبات أوروبا ومتاحفها لأنها اي تلك المخطوطات والمصنفات تؤلف ثروة الأمة فأخذ من منفاه يفتش عن تراث العلمي للمسلمين في أوروبا وحقق ذلك في كتب عديدة (36).

سابعا: شكيب أرسلان مؤرخاً ومفكراً واديباً وسياسياً.

عاش نحو ثمانين عاماً قضى منها ستين عاماً في المطالعة والكتابة والتأليف والخطابة والنظم، في عشرات الدوريات من الصحف والمجلات، وأدرك ببصيرته أثر العامل الديني في الصراع بين المسلمين والمستعمرين، بينها في كتاباته ومقالاته، وأوضح أثر ذلك في دول الغرب وسعيها لاحتلال بلاد المسلمين، فربط بين الحملات الصليبية القديمة احوال المسلمين اليوم على يد المستعمر، فتناول فظائعهم ووجوب اخذ العبر من ذلك (37)، ويُعد خبيراً من بنفسية الشعوب الاسلامية وعارفاً بدائها وطريقة علاجها، دفعه ذلك إلى تأليف كتاب اسماء أسباب تاخر المسلمين (38). مستعيناً بالوقائع التاريخية التي عاصرها وقرأ عنها التي تؤكد على أن المسلمين كانوا هم سادة الشعوب في يوماً ما، والإسلام الذي نزل بلغتهم وجعلهم مادته وحمة سيفه من أجل استنهاض الهمم تحت راية الإسلام والقرآن جامعاً لكل المسلمين بكل قومياتهم (39).

ثامناً: العوامل التي ساهمت في توجه الأمير شكيب أرسلان لكتابة تاريخ الأندلس.

1. الشغف بالتاريخ الأندلسي وقراءته وفي ذلك يقول أرسلان: ولعت منذ صباي بقراءة تاريخ الأندلس والتتقيب عن كل ما يتعلق بالعرب في تلك الجزيرة (40).
2. مشاهداته الشخصية إذ يحدد لنا أرسلان منذ البداية دافع كتابته عن الأندلس، وهي كتابة تُصّل على أي حال أكثر من رحلة وتجوال قام بهما المؤلف في تلك الديار (41).
3. هناك رجال أثروا في شكيب وتأثر بهم فصاغ من خلالهم منهجه في الحياة وكتابة التاريخ منهم الشيخ محمد عبده الذي نفخ في صدره روح البحث في تعاليم الإسلام وحضارته والاطلاع على مختلف الملل والنحل (42).
4. تأثر أيضاً برجال لم يكن معاصراً لهم بل تركوا خلفهم أثراً اطلع عليها وامعن النظر فيها وتأثر بها، كابن المقفع، وأبو الحسن الصابي، وابن خلدون، والمقري وغيرهم من مؤرخي ومفكري الإسلام (43).
5. الحروب الاستعمارية التي تعرض لها المسلمون مثل الغزو الايطالي والحرب العالمية الأولى وقد اشترك في كليهما دفاعاً عن بلاد المسلمين والخلافة العثمانية، كان لنتائجها تأثير على آرائه وأفكاره، فكانت كتابته أشبه ما تكون تنبيهاً للحكام والمسلمين لأخذ العبرة والموعظة والحيلة مما جرى في الأندلس من تدمير لحضارة دامت قروناً وإن ذلك قابل للتكرار (44).

6. حياة النفي التي عاشها متنقلاً بين العديد من البلدان في المشرق وأوروبا وأمريكا تركت أثراً في نفسيته وفسحت المجال له للترحال والاطلاع على أمجاد الماضي (45).
7. النقل والاقتباس عن الآخرين كالنقل عن مؤلفات كتبها مؤرخين مسلمين وعرب ومستشرقون أجانب وغيرهم، وعندما انتقل إلى أوروبا بعد الحرب اطلع على قسط كبير من الكتابات الأوروبية الأدبية والاجتماعية والتاريخية المتعلقة بالمسلمين (46).
8. فلسفته الدينية الإسلامية ونظرته الصائبة في كيفية تغلب المسلمين في الماضي على التحديات حتى أصبحوا أمة واحدة متماسكة وحالهم المزرية اليوم فاستخدم تلك الفلسفة والنظرة التاريخية لأخذ العبرة وتسخير ذلك بدعوة المسلمين للرجوع إلى الدين الإسلامي ليعود إلى الطليعة كما كانوا في الماضي (47).
9. ثقافته وعلميته الواسعة بالماضي والحاضر فرغم أنه توقف عن التعليم في مدارس بيروت سنة 1887 ولم يرتحل لإكمال دراسته إلى أي معهد، لكنه تابع عملية تثقيف نفسه من دراسة للتراث الأدبي والتاريخي والفكري للمسلمين فحصل على ثقافة واسعة جداً في هذا المجال (48).

تاسعاً: مؤلفاته.

تعددت مؤلفاته وتصنيفاته الكثيرة فقد بلغت تلك البحوث والمقالات المئات، فضلاً عن آلاف الرسائل ومئات الخطب خلال حياته، ومايدل على غزارة كتاباته ما قاله شكيب أرسلان عن نفسه: "انه صدر عنه من المكتوبات فقط سنة 1935 من أول يناير إلى 31 من ديسمبر نقلاً عن دفتر المكاتيب، بلغ عدد المكاتيب الخصوصية 1781، وعدد المقالات 176 وقصيدتين ومقطوعة، وعدا ذلك حررت كتاباً عن شوقي من 350 صفحة وحواشي ابن خلدون 560 صفحة، وطبعت روض الشقيق ديوان أخي، وذيلته بتفسير وادعته ترجمة أخي ونسب العائلة... وفي سنة 1935 كتبت قسماً غير قليل من الجزء الأول من كتاب الأندلس... وقدمت ديواني للطبع، وعلقت على تفسير بعض الألفاظ... وكتاب ليفي بروفنسال لخصه في هذه السنة" (49).

فكان من تلك الكتابات ما ألفه وفاء لإخوانه وبراً بأصدقائه (50)، ومنها رسائل حملت أفكاره الإصلاحية، وهي فصول كتبها جواباً على اقتراح من قبل الشيخ محمد بسيوني عمران (1348هـ/ 1929م) امام جزيرة برنيو (جاوه) بأن يكتب لمجلة المنار لصاحبها محمد رشيد رضا في أسباب ضعف المسلمين وأسباب قوة الفرنج وعزتهم بالملك والسيادة والثروة فكتب رايه في ذلك (51)، منها رحلته إلى البلاد الحجازية 1929 (52)، وكتاب الدرة اليتيمة الذي عنى بتصحيح نسخته الخطية ووضع مقدمة لها وطبعها، بيروت، مرتين سنة 1893 و1897م (53)، وكتاب محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي نشره عن مخطوطة برلين لزين الدين بن تقي الدين بن عبد الرحمن الخطيب، وقد نقحه وكتب حواشيه وصدره بمقدمة عن الامام الاوزاعي وتراجم لمن ورد

ذكرهم في متن الكتاب (54)، وكتاب المختار من رسائل أبي اسحاق الصابي طبع الجزء الأول منه الذي نقحه وعلق حواشيه وبصدره ترجمة الصابي وتعريف بأدباء زمانه (55)، أما ما يتعلق بآثاره (المخطوطة) فقد ترك ايضاً منها الشيء الكثير (56).

عاشراً: منهجيته في كتابة التاريخ الأندلسي.

صدر عن شكيب أرسلان عدداً كبيراً من الكتب مابين تأليف وتحقيق وترجمة ومن أهم تلك الكتب: 1: الحل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية 3 اجزاء 1939. (57)*

كما هو الحال من بقية مؤلفاته يبدء ببيان والغاية من توثيق تاريخ الأندلس مذكراً بأن غريزة البشر في تذكر الحوادث والوقائع الخالية والوقوف على الرسوم العافية والاعتناء بحفظ الغابر، فكل امة تدرس تاريخ البشر تجعل تاريخ سلفها هو المتقدم والدرس المقدس على بقية التواريخ لتذكر بها ناشئتها، فمن منطلق قوله عز وجل "وتلك الايام نداولها بين الناس" وولعه منذ الصبا بقراءة تاريخ الأندلس ذلك الفردوس الذي ظل الى اليوم يناح عليه لفقده، ومكرراً نفس الأسباب التي دفعته للخوض في هذا المجال فيما سبق له من اعمال وما تلاها هي سنن في تتبع من قبلنا والاقتداء بسلفنا وبناء ما بناه الاوائل.

فبعد الاهتمام والاقبال الذي لاقاه كتابه الاول رواية اخر بني سراج وخلاصة تاريخ الأندلس وسقوط غرناطة، من اعيان الامة الذين قرؤا الكتاب وتتبعوا حوادثه بأهتمام عظيم، فاعادوا قراءته مراراً وتكراراً زاد من حسرتهم وولعهم بتاريخ الأندلس مع ازدياد الجيل الجديد للتعرف، وطبعها اكثر من مرة، فانه عزم على ان يقوم بتقديم اخر عظيم في حياته ويهديها خدمة للامة واجيالها القادمة، كتاباً شافياً للتعاليل وجامعاً لاقطار هذا البحث، ناظماً بين القديم والحديث، ومقابلاً بين ماتناقله العرب والغرب بهذا الشأن، بتقديمه لدراسة مفصلة دقيقة وبديعة عن الأندلس، وقد رسم ببيانه صورة صادقة ودقيقة عن كل مدينة وكل ناحية من بلاد الأندلس وما بقي من آثارها إلى يومنا هذا، مع ذكر من اشتهر وذاع صيته من علمائها وادبائها وشعرائها حتى عُد تحفة تاريخية في أجزاء متعددة (58).

فانصرف إلى تأليف كتابه هذا بعد أن قام برحلته إلى الأندلس نحو ستة سنوات من تلك الرحلة وتجوله في معظم اسبانيا، ليعاين فيها وليقارن الرواية بالرؤيا ويجعل القدم رداءً للقلم، وان يجعل من رحلته اساس كتابه الحل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية (59) فاصلاً كتابه السابق تاريخ غزوات العرب عن هذا الكتاب، بعد ان وجد فيه خروجاً عن الموضوع واتساعاً في التاريخ وبعداً عن رحلته الأندلسية، واختلفت تسميتها بعد ان تحول الى اكثر من مجلد حريصاً فيه على اظهار جهده فيها وذاكراً فيها كل مالم يذكره من سبقوه بالنصح والتحميص والامانة في كتابة تاريخ جديد للأندلس.

معتمداً على مقابلة النصوص والروايات العربية المتعددة بهذا الخصوص، واختيار الرواية الاقرب من بين تلك الروايات، وتعيين تاريخ دقيق لكل حادثة باليوم والشهر والسنة على ضوء ذلك، ومن ثم مقارنتها مع الرايات الافرنجية والاسبانية وتعريب للاسماء الاسبانية للاماكن والاعلام كما كان يلفظها العرب المسلمين، او كما يلفظ الاسبان للاسماء العربية عند الضرورة (60). كما يذكر انه اعتمد الى جانب ما عاينه خلال رحلته الى النقل من المؤلفين بقدر المستطاع والضرورة، لتكون موسوعة متنوعة الاراء والافكار والتي يرغب من خلالها ان يطلع القاري على احوال العرب المسلمين المختلفة بالأندلس كما كتبها من عاصرها، فلم يرد من هذا الكتاب مجرد النقل عن الآخرين والذي عبر عنه بأن ذلك ليس مذهبه بالكتابة ولا يجد فيه طريقة مثلى بالتأليف، وانما يكون بنقل ما يمكن الاتصال به من اراء الناس ورواياتهم ثم يعقبه برأيه الخاص، خاصة لتلك التي جزم بصحتها وصحتها حسب اجتهاده، ومستنداً الى ماتوصل اليه من قرائن وما اطلع عليه وشاهده تاركاً في النهاية للقاري حرية الاختيار والرفض لما فيها (61).

اعتمد فيه على روايات مشاركة ومغاربة على حد سواء كالمسعودي وابن حوقل والمقدسي والادريسي وابن الاثير وياقوت الحموي وابن عذاري وابن بشكوال والضبي وابن الابار وابن خلدون وابن الخطيب وابن صاعد الاندلسي والهمذاني والقلقشندي والمقري الذين مثلوا روايات الفاتحين المسلمين، ومن جهة اخرى نقل عن جلة من المستشرقين الموثوقين كرينهارت دوزي ورينو ايزودور الباجي وبروفنسال والمسيو جوسيه وبديكير وسيمونه وكوندي ودويكير، الى جانب موسوعة الانسيكلوبيديا الاسلامية لبيان راي الرواية الغربية، مستعيناً بترجمتها بعدد من زملائه الاسبان وناسباً كل رواية الى صاحبها، وناقلاً في كثير من الاحوال الفصول بنصوصها الاصلية او ملخصاً منها مع التعليق عليها في حواشي الكتاب، مبيناً نقله النص بالكامل الى ان بترها ربما قد يغير من معناها الاصيلي للنص ولا يعبر عن محتواها الصحيح حتى وان كانت لتدعيم فكرته الاصلية، فقسم الكتاب الى قسمين حيث يقول: "إنه وازن فيها ما بين التاريخ والجغرافيا على اعتبار أنهما معاً يكونان صورة ذلك الفردوس المفقود وتاريخه" (62).

ومن اجل الاستشهاد وتأكيد المعالم الجغرافية للأندلس ورحلته ارفق الكتاب بالخرائط التوضيحية، مبيناً فيها اسماء المدن باللغة العربية ومعزراً تلك الخرائط بالصور التي تنشر لأول مرة للقراء وفي كتاباته عن معالم الأندلس لما لها تأثير في النفوس، ومن دون اثقال الكتاب بالارقام الحسابية والجداول الاحصائية التي تثقل من نفس القاري، ويتابع هذا النسق في جزئي الكتاب الباقيين منه، يبدأ في منهجاً يذكرنا بطريقة ابن سعيد الأندلسي في كتابه المغرب في حلى المغرب بالحديث عن مدنها التي يزورها، فيحدثنا عن من نبغ فيها من الحكماء والفقهاء والأدباء ثم ينتقل إلى المناطق المجاورة متحدثاً عن اسمها وبعض تاريخها متوقفاً دائماً في كل منطقة عند أبرز

النابعين المنتسبين إليها (63). خاتماً نهايته بالكثير من الأشعار في رثاء الأندلس القديمة والحديثة كأبي جعفر أحمد بن علي بن خاتمة الانصاري (ت: بعد 770هـ/1369م):

أضحت بأيدي الكافرين رهينة * * وقد هتكت بالرغم منها ستورها (64).

ومن هذه الأشعار - أيضاً - قصيدة معاصرة من تحرير هذا الجزء كتبها الوليد بن طعمة * (ت: 1360هـ/1941م) وهو أديب مسيحي لبناني فأراد إرسال وأحبّ تخليدها في هذا الكتاب، وختمها:

كُنّا الملوك وكان الكونُ مملكة * * فكيف بتنا الممالك المساكينا (65).

2: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط (66).

هنا أيضاً مثل بقية ماكتبه عن تاريخ الأندلس والمسلمين فيها بعد ترجمته أولاً لرواية آخر بني سراج الذي ذيله بكتابه خلاصة تاريخ الأندلس ونبذة العصر في أخبار بنو نصر لمؤلف مجهول العمل الأول لشكيب أرسلان، يبدأ في هذا التصنيف الثاني له بالتأكيد على الغاية من دراسة التاريخ الإسلامي بأن حفظ التاريخ هو الشرط الأول لحفظ الأمم ونموها ورفق الأمم وسموها، وأنه لا وجود لامة والشعور بذاتها وبانفسها الا اذا كانت حافظة لتاريخها ورعاية لماضيها وامتددة اولياتها، على علم التاريخ الذي هو الواصل بين الماضي والمستقبل. فقد اهتم العرب المسلمون التأليف فيه مع أنه من امجادهم وماضيهم والمع مالمعت فيه مواضيعهم وهو الدور الذي كان لهم فيه الريادة والقيادة في اوربا بعد فتحهم الأندلس، وذلك عن فتوحاتهم في فرنسا وايطاليا وسويسرا وجزائر البحر المتوسط التي رفعوا فوقها راياتهم لمدة طويلة واثروا فيها اثراً كثيرة، هذا الدور يكاد كما عبر عنه مجهولاً لدى ابنائها، بل حتى الكثير من ناشئتها لا يعرفون عنها ولو قليلاً (67).

ففي اوسط سنة 1930م بدء بتدوين كتابه هذا وصفاً فتوحات المسلمين ما بين القرن (2 و 4 هـ/ 8 و 10 م)، جاعلاً منه مقدمة لكتابه الثالث خلال رحلته الى الأندلس فيما بعد المعروفة بالحل السندسية الانف الذكر، سلكاً في كتابه سبيل الرحلة ومبتدئاً بالكتابة عنها استناداً لظروف رحلته اليها أولاً والغرام والشوق والحنين الذي كان يختلج في نفسه منذ اكثر من ثلاثين عاماً يدفعه لمتابعة اثار المسلمين فيها وماجاورها من البلاد الاوربية والترحال اليها ثانياً، فهي واجب على كل مسلم بأن يبحث عن اثار قومه ويتعلم مناقب اجداده ويتدارس معالي همهم ما يترك من ذلك تراثاً خالداً لاعتقابه لانها انفس ما اثاروه من اثار هناك في تاريخ البشرية. متحدثاً فيه عن أمجاد المسلمين وفتوحاتهم في هذه الأصقاع وماتركوا خلفهم من آثار ومن آيات الحضارة والمدنية، لهذا كله خصص هذا الموضوع بكتاب اسماء: "الخبينة المنسية في مقام العرب بجمال الألب والبلاد الإفريقية" (68).

مبتدأ رحلته من حيث توقف فيه المسلمين ما بين فرنسا وايطاليا وسويسرا حتى بحيرة كونستانزا في المانيا التي كانت تعرف بالارض الكبيرة، فهو اول تأليف عربي مستقل في هذا الشأن اراد ان يهديه للمسلمين لكونه دائماً يدعو لدراسة تاريخ المسلمين بأيدي المسلمين وعدم الأخذ بكل ما يقوله

الغربيين بهذا الخصوص الا نادراً، فيذكر من خلال مشاهداته للآثار النادرة والمتبقية للمسلمين هناك من النقود والملابس وأسماء البلدان.

اما المصادر التي استقى منها معلوماته كانت المصنفات التاريخية الاسلامية اولها ومن ثم ماكتبه المستشرقين الغربيين في بعض الاحوال وأسباب الاخذ منه، ذاكراً منهم الفرنسي رينو في كتابه غارات العرب على فرنسا وسافوي وبيمونت وسويسرا، اخذ عنهم لانهم كما ذكر اوعى من كتبوا في هذا المجال، خاصة ما عرف عنهم بالتحقيق في المسائل التاريخية معتمداً على اجادته اللغة العربية واللاتينية في مقابلة النصوص والحوادث لتأكيد ما ذكره المصدر الذي استقى منه معلوماته عن فتوحات اعراب في فرنسا، وما يخص فتوحاتهم في شمال ايطاليا وسويسرا اعتمد على ماكتبه السويسري فرديناند كيلر في كتابه غارات العرب على سويسرا، وماكتبه الاسباني كوندي تاريخ استيلاء العرب على اسبانيا وان عرف بتحميصه الروايات الا انه لم يذكر مصادر معلوماته التي استقاها في الاسكوريال، وما كتبه لفوستينو بوربون عن تاريخ العرب في اسبانيا.

يدعو شكيب ارسلان الى تحميم الروايات التاريخية لكون اغلبها شفوية كانت بعد ان ضاع اصولها او انها كتبت في فترة لاحقة من تلك الاحداث، والمبالغة في روايات المسيحية وغموضها واختلاطها مع غيرها من الاحداث التاريخية، وجد في ذلك طريقاً الى مقارنة الروايات فاذا ما تطابقت مع روايات العرب كانت صادقة ومثينة، واما ان لم تكن متطابقة لجاء الى المقارنة بينها وترجيح الاقرب الى العقل والعصر الذي حدث فيه، اما تلك التي لم يمكن الجزم بها فانه اشار في كتبه الى مصدرها، وهكذا مبتدئاً بالمدن متحدثاً عن تاريخها القديم فيما سبق الفتح وموقعها وتسمياتها واسم القائد الذي فتحها.

3: رواية آخر بني سراج وبذيلها ملخص تاريخ الأندلس وكتب نبذة العصر (69).

للفرنسي فرانسوا رينيه شاتوبريان* ترجمها شكيب أرسلان، فزاد من شهرتها على تلك الترجمة تأليفه والحاقيها بتكملة صادقة عن تاريخ المسلمين لبلاد الأندلس منذ فتح وحتى خروج المسلمين منها (70)، اعاد طباعته مضيفاً لترجمة الرواية وكتاب خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط مملكة غرناطة ثم اضاف لها ملحقاً ثالثاً وهو كتاب أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر لمؤلف مجهول شهد وقائع سقوط الأندلس، مورفقاَ معه آثار تاريخية في أربعة كتب رسمية سلطانية، فجمع بذلك ثلاث مؤلفات في كتاب واحد.

ويذكر شكيب أرسلان السبب في ترتيبه بهذا الشكل بأنه اصاب في هذا الرواية بعض المضامين فأختر ترجمتها الى اللغة العربية، للطف معانيها وشرف مغزاها وما تضمنه من اداب المحبين، واثيراً لما فيها من مكارم الاخلاق عند المسلمين، ومزايا الاشراف الفرسان، واطلاعاً على الصفات الملكية مترجمة عن افق الملا العلوي الى عالم الانسان، واستدلالاً على بديع صنع الله حين يجمع بين الحسن والاحسان، ومن ثم تعريفاً بالفروسية انذاك وما انطوى عليه من مكارم

الاخلاق وتلذذاً بذكر السلف واستقراءً لآثار المسلمين، مكملاً الرواية بذيول عن اخبار الاندلس للزوم الرواية لها للمساعدة في فهمها وتسويغ حلاوتها للقاري، فجاء فيها من لطف الحقيقة ما لا يقصر عن لطف خيال شاتوبريان وروايته اعاد به الى الازدهار صدى الأندلس الزائلة.

ورواية آخر بني سراج على الرغم من أنه وجد فيه إختصاراً عند ترجمته، فأراد أن يعوض القارئ شيئاً عن الرواية وزمنها التاريخي التي من نسيج الخيال، وأنه بذلك أراد توسيع مدارك القارئ بتعريفه بموقع وزمن الرواية من خلال تاريخ الأندلس الحقيقية. فيعرف بتاريخ أسرة بني سراج ويتحدث عن الأسطورة وأثر المستشرقين بالمبالغة في العاطفة في قالب بعيد جداً عن التاريخ، عن شاب أندلسي يتمثل بقايا بنو سراج الغرناطيين وزراء بني الأحمر في الأندلس التي عرفت تاريخياً بالفروسية والجمال والعلم- إلى الأندلس وهناك تقع عيناه على فتاة جميلة من (آل بيغار) واسمها أدماء والعاشق هو ابن حامد من نسل بنو سراج، ويأبى كل طرف أن يدخل في دين الآخر وذكرى دماء الأجداد والآباء الذين سفكت بعضها وطرد الآخر، تذكره من جديد بجذوره فيكون فراقهما.

أما الجزء الثاني من الرواية فقد خصه بحديث تاريخي عن مملكة غرناطة، وتطرق فيها عن كل ماله علاقة بتاريخ الأندلس، فتح الأندلس (92هـ/711م) ملوك الطوائف (422-483هـ/1030-1090م) المرابطين (484-540هـ/1091-1145م) الموحدين (524-630هـ/1129-1232م) معركة الأراك (591هـ/1195م) العقاب (609هـ/1212م) بنونصر (630-897هـ/1232-1492م) والنجيدات التي قدمت للأندلس من المغرب، والنزاعات التي حدثت بين أمراء بني نصر في غرناطة واستغلال ملك إسبانيا لها، ومن ثم سقوط الأندلس والرياء الشهير لها، يبدع فيها في سرد الأحداث الأخيرة من بكاء ورياء وتحول المساجد لكنائس والإضطهاد الذي لاقاه المسلمون ومن ثم تهجيرهم للمغرب ويتحدث عن المسلمين الذين بقوا فيها وما وجدوا من عنف وصلف وتعذيب وتنصير بالقوة.

ويذكر الدافع الى تذييل تلك الرواية بهذا الكتاب لسببين هو الاول مساعدة القاري على فهم الحوادث الحقيقية ومعرفة المواقع التاريخية التي اهتمتها الرواية مما يفقدها لذة المطالعة، والثاني اختصاراً للرواية، اراد من التذييل عليها واطالتها بما يزيد من حجمها واطهاراً للحقائق التاريخية، بما لا يتوهم فيه القاري بصدق الرواية وصحة احداثها، فأراد منها ان تكون ذيلاً على الرواية يستقصى منها تاريخ الاندلس الحقيقي، على الرغم من كونه ممن لا يحبون التأليف في مواضيع كثر التأليف فيها وطال المقال وتكرر لما سبق اعادته كالصدي فخلى من البراعة والصدق والتجديد، على ان اخبار الاندلس كانت مستفيضة في كتب التواريخ شرقاً وغرباً ومعلوماً للجميع بما لا يمكن التأليف فيه سوى زيادة في عدد الكتب، وانما احب التأليف فيما ندر وخفي من تاريخها وطمست معالمها، فإذا قرأته العامة والخاصة سقط منه على جديد ذي حلاوة ولم تسأمه النفوس لعدم تداولها ومطالعتها المرة

تلو الاخرى كمدارسة كتب القواعد التي لا تتغير .

فاراد من خلال ذلك ان يفند في الجزء الثاني من الكتاب حادثة الفتك بأسرة بني سراج من لدن ملوك غرناطة كما ينوه له الغرب، لانها-الحادثة- لو كانت صحيحة كما يذكر شاتوبريان وغيره من المستشرقين لم يكن ليمر مثل تلك الحادثة المزعومة عن المؤرخين المسلمين مثل المقرئ في كتابه نفح الطيب الذي ضم كل وصغيرة من تاريخ الأندلس وتتوعه بالاخبار ومستندا في نفس الوقت الى ماكتبه الوزير والاديب الثماني ضيا باشا من استحالة وقوعها ومن ثم صحتها، فيذكر من انها لو كانت ذات اصل فلا بد ان يكون حادثاً ضعيفاً جداً نظراً لاهمالها من قبل جميع المؤرخين المسلمين او الاشارة لها، ضارباً المثل لاحداث يزخر بها التاريخ الاسلامي وشبيهة بحادثة بنو سراج على سبيل المثال حادثة الفتك بالبرامكة وقصة العباسة اخت الرشيد، مستنداً الى اصالة هذا البيت من قرطبة المعروفة بالاعلام والتراجم الشهيرة التي سبقت عصر غرناطة وانها لاشخاص من القرن التاسع الهجري في زمن الخروج الاخير للمسلمين عن البلد اعتمد عليها شاتوبريان في روايته الخيالية.

4:كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر المعروف باسم تاريخ ابن خلدون او المقدمة (71).

قام الأمير شكيب أرسلان في اواخر أيامه بتحقيق ونشر الكتاب كقسم ثاني لمقدمة ابن خلدون بعد التعليق عليه، فاخرج الجزء الأول منه وعلق عليه بكتاب يماثله في الحجم وقال بأنه ملحق للجزء الأول فاصبح اشبه مايكون بالذيل وتكملة لتاريخ ابن خلدون، يبدأ في مقدمة هذا القسم اولاً بتقديم ارائه في ابن خلدون وكتابه مبيناً فيها بأنه لم يسبقه احد من الفلاسفة والعلماء قديماً وحديثاً بالتصنيف في علم طبيعة العمران، على الرغم من ان الذين سبقوه من علماء الاغريق لاحظوا هذا العلم في تصانيفهم لكنهم لم يبلغوا فيه شيئاً من الاحاطة والسعة والشرح الذي بلغه ابن خلدون، مستشهداً بسبق ابن خلدون في هذا المجال بما يؤيد رايه ما يذكره المستشرقون امثال كارادفو في كتابه مفكري الاسلام بأنه لم يعرف ما عرفه مسلمي افريقية في اوربا الا في القرن الثامن عشر، وحاول من خلال تكملة وشروحاته للكتاب الرد على كل من اتهم ابن خلدون بالتقليل من اهمية الكتاب بالقول بأنه لم يكن منهجاً محدداً في التاريخ والفلسفة والاجتماع ومستشهداً بما قاله ابن خلدون في مقدمته.

ويجري مقارنة ما بين فلسفة ارسطو وافلاطون في المدنية والحضارة وما عند ابن خلدون ومبيناً الخطأ الذي وقع فيه فلاسفة الاغريق، ويعدد البراهين التي قدمها ابن خلدون بأنه لا افلاطون ولا ارسطو ولا الفارابي نفسه، قد وصلوا الى ما وصل اليه ابن خلدون من وضعه أسس فلسفة التاريخ واصفاً اياه بأنه مفخر المغرب بل مفخرة الاسلام كله. وما يؤكد اهمية الكتاب في نظره بأنه كان يطالعها المرة بعد الاخرة وفي كل مرة يكتشف فيها اسراراً جديدا لم تكن مكتشفة من قبل في المرة

الاولى، ومستخرجاً منه اراءه الذي عبثاً حاول العثور عليها في غيره من المصنفات،حتى انه ترك اثراً عميقاً في نفسه وانه قلما كان هذا الكتاب يفارقه في طرق تعبيره عن افكاره.

اما سبب اهتمامه وقيامه بتحقيق ووضع حواش جديدة للكتاب يذكر قائلاً:لقد اولعت بهذه المقدمة شاباً وكهلاً وشيخاً، وبقيت انظر اليه نظرة المشتاق الذي لاتخمد السنون من جذوة غرامي بمحاسنها، ولكني لم اكن مطالعاً من التاريخ الكبير الا لمحات يسيرة، وربما طالعت من كامل ابن الاثير اكثر مما طالعت من تاريخ ابن خلدون بكثير، فمازال يحن في صدري ان اقرأ هذا التاريخ قراءة مدقق واعقد اوله بأخره عقد مستوثق. فلما عزم على اعادة طبع الكتاب في المغرب من جديد ورغبة كبار علماء المغرب بقيامه بتولي تلك المهمة رغم انشغاله بالعمال على كتاب الحل السندسية المذكور انفاً، وافق على ذلك لاجراج الكتاب بطبعة جديدة مستوفية شروط التنقيح ومطرزة بالحواشي القيمة التي تزيد من قيمته اللائقة لمثل هذا الكتاب وفق نظريات العصر الحديث في علم الاجتماع اي ربط الماضي بالحاضر ما يكمل به فائدة الكتاب وتتجلى قيمته الحقيقية.

ويوضح ايضاً سبب اخر لاهتمامه بالكتاب هو اهتمامه بأنساب الامم القديمة والكبيرة ومن جملتها امة الترك،كان بحكم معاصرته لها اعلم الناس بتاريخها، فاراد ان يستكمل الكتاب من حيث توقف فيه ابن خلدون في هذا الشأن (72) وفيه خلاصة غنية مركزة ومفصلة لتاريخ الصقالبة(اوربا) والترك والدولة العثمانية إلى سنة(1333هـ/1914م) مثل القسم الاعظم من شروحه وتعليقاته على الكتاب، فكان تحقيقه بهذا الشكل اشبه مايكون ذيلاً لمقدمة ابن خلدون وتاريخه عبر تدوين هوامش مهمة من دون التغيير في نصوص الكتاب وقيمته التاريخية بل اكسبه قيمة مضاعفة مما لم يذكر في كتاب آخر وهو مكون من ثمانية اجزاء، ونشر الجزء الثاني ولم يظهر تعليقه عليها(73).

الخاتمة:

الغرض من هذا البحث هو الكشف عن أبرز نشاطات شكيب أرسلان العلمية والتاريخية في كتابة التاريخ الإسلامي في إطار أدبي وتاريخي، واعطاء فكرة واضحة عن منهجه ونشاطه في كتابة التاريخ الإسلامي في الأندلس والتعريف به،بعد ان الذي قضى الشطر الأكبر من حياته مجاهداً عن قضايا العرب والمسلمين رافق هذا الجهاد بدراسة للتاريخ الاسلامي لاستخلاص الدروس وليكون حافزاً للتقدم، فساهم في بروز مكانته العلمية والوطنية ومن دعوته إلى احياء والتمسك بالتراث الإسلامي ضد المستعمر الذي يواجه المسلمين، ولذا فهو يستنبط الدروس من التاريخ الاسلامي والسياسي منذ البعثة وحتى يومنا هذا، وأنّ مبدأ الأخوة الدينية هو الذي كان يشد من أزر الدولة الإسلامية إلى جانب التمسك بالدين والقرآن الذي كان سبب تقدمهم مثلما كان تركهم له سبباً في فقدان العديد التي من البلدان كان يحكمها المسلمون.

الهوامش

- (1) محمد علي طاهر، ذكرى الامير شكيب ارسلان المراثي وحفلات التابين واقوال الجرائد، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1947، ص9.
- (2) ينظر: شكيب ارسلان، ديوان شكيب ارسلان، طبع وتصحيح: محمد رشيد رضا، القاهرة، مطبعة المنار، 1935، ص19.
- (3) أحمد الشرباصي، شكيب ارسلان من رواد الوحدة العربية، القاهرة، مطابع الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1963، ص46؛ طاهر، ذكرى الامير شكيب، ص10.
- (4) سامي الدهان، الامير شكيب ارسلان حياته واثاره، القاهرة، دار المعارف، 1960، ص60.
- (5) الدروز: لم يعثر في كتابات الجغرافيين والبلدانيين المسلمين في العصور الوسطى ولا في المراجع الحديثة سوى ملاحظات قليلة عن اصل وديانة الدروز الا في الكتب الدروز الدينية السرية، فقد اتهموا من قبل جيرانهم المسلمين والمسيحيين بابشع التهم نتيجة الحروب الطائفية والمذهبية التي كان يغذيها المستعمرون ايام الدولة العثمانية، ومن الصعوبة في ضوء قلة المعلومات التي يتحدث الدروز فيه عن انفسهم معرفة تاريخهم بشكل دقيق من حيث منشوهم العرقي بين من يذهب الى كونهم من غير العرب اكراد وفرس وبين من يجعلهم من اصل عربي جاؤا الى المنطقة، حتى عدوا انفسهم من اقدم سكان المنطقة ظلوا كجماعة عرقية تختلف من حيث العادات والشكل والملبس عن بقية جيرانهم، لم يعرفوا باسم الدروزين الا في عهد فخر الدين المعني الدرزي الذي استغل علاقاته من اجل كسب تايد الاوربيين في حربه ضد الدولة العثمانية فشاغ تسميتهم بالدروز بينما يطلق الدروز على انفسهم تسمية الموحيدين يتركز وجودهم في بلاد الشام فقط في جبل لبنان واقضيته ونواحيه وعلى سفوح جبل حرمون والسويداء وحاصبيا وراشيا وقطنة وحروران والقرى المجاورة لدمشق وجرمانه وصحنايا والاشرفية ودير علي وغيرها من القرى وجبل العلا قرب حماه وصفد قرب عكا. ماكس فون اوبنهايم، الدروز، ط2، ترجمة: محمود كيبو، لندن، مؤسسة الوراق للنشر، 2009، ص11-13، هامش رقم 3، ص45. محمد علي الزعبي، الدروز ظاهريهم وباطنيهم، بيروت، د.ط، 1975، ص115-118.
- (6) أحمد توفيق المدني، شكيب ارسلان بطل الجهاد في كل الميادين، مجلة الثقافة، الجزائر، منشورات وزارة الثقافة، السنة 13، العدد 76، 1983، ص64.
- (7) ورد ذكرهم في المصادر الاسلامية التاريخية باسم الجراجمة، ان اصل المردة هم السريان سموا بذلك تميزا لهم عن الاراميين المعروفين بالملكين في حماه وحمص عندما تمردوا على الملك البيزنطيين في القسطنطينية وخالفوه في المعتقد، فتعرضوا الى الاضطهاد وفضلوا سكن المغاور وفق العيش على الذل والهوان على يد السريان والروم والكاثوليك والارمن، استغل المردة سوء احوال الساحل الشامي وانشغال الخلافة العباسية بتوطيد امورها ومشاكلها الداخلية وسوء سيرة بعض الولاة وقيام الروم البيزنطيين في جزيرة قبرص بتشجيع ومد يدالعون لنصارى الشام بالخروج على الخلافة. الامير شكيب ارسلان حياته واثاره الهامش رقم 1 للمحقق، ص60؛ عمر عبدالسلام تدمري، لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الاخشيدي، طرابلس، جروس برس، 1992، ص19.
- * وادي تيم: ينسب الى التيم بن اسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان من قضاة، الذين استوطنوا هذا المكان بعد حرب قبيلة قضاة مع سابور ملك الفرس قبل الاسلام فنزل بها بنو عبدالله وبنو هلال ابنا تيم الله اثناء الفتح الاسلامي. ينظر تدمري، لبنان، ص22 الهامش 1.
- (8) محمد جميل بيه، عروبة لبنان تطورها في القديم والحديث، بيروت، دار الريحاني، 1969، ص22.
- (9) طنوس الشدياق، اخبار الاعيان في جبل لبنان، بيروت، د.ت، 2: 495/1954؛ تدمري، لبنان، ص36، 37.
- (10) شدياق، اخبار الاعيان: 2/496.
- (11) ديوان الامير نسيب ارسلان، قدم له وعلق عليه شكيب ارسلان وحشاه، دمشق، مطبعة ابن زيدون، 1935 ص234؛ الشدياق، اخبار اعيان: 2/496.
- * الشوفيات: بلدة جبلية قديمة منذ عهد الرومان تابعة الى مقاطعة الشوف اللبنانية تشتهر باشجار الزيتون، يبعد عن جنوب بيروت نحو (10 اميال/12 كم)، تقع فوق ربوة قريبة من البحر يقول عنها شكيب ارسلان سنة 1935: انها قصبة كبيرة اهلها نحو من سبعة الاف نسمة بناها الامير مسعود الارسلاني ومن ذلك الوقت اي من الف ومائة وتسعة وستين سنة بالحساب العربي، هي مركز العائلة الارسلانية بنو ارسلان بدون انقطاع، وهي مسقط راس محرر هذه السطور. ينظر كتاب زين الدين بن تقي الدين بن عبدالرحمن الخطيب، محاسن المساعي في مناقب ابي عمرو الازاعي تحقيق: شكيب ارسلان، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1933، هامش رقم 1 ص 101.
- (12). شدياق، اخبار الاعيان: 2/496؛ تدمري، لبنان، ص47.

- (13) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ط2، تحقيق: محمد ابو الفضل، مصر، دار المعارف، 1967:8/625-627؛
- (14). شدياق، اخبار اعيان: 497,498/2؛ تدمري، لبنان، ص46، 55، 53.
- (15). الدهان، الامير شكيب ارسلان، ص61؛ شدياق، اخبار الاعيان: 499/2.
- * عين دارة: بلدة اقامها القرامطة في منطقة الجبل عندما استولوا على الشام ذكرى لبلدتهم التي كانت بهذا الاسم في الاحياء. ينظر تدمري، لبنان، ص75 هامش المحقق.
- (16). ناصيف اليازجي، رسالة تاريخية في احوال جبل لبنان الاقطاعي، حقق فهرسها وضبط حواشيها: محمد خليل باشا ورياض حسين غنام، بيروت دار معن، د.ت، ص14 هامش 14.
- (17). نسيب ارسلان، روض الشقيق، ص12-16.
- (18). الشرباصي، شكيب ارسلان، ص52 وما بعده؛ الدهان، الامير شكيب ارسلان، ص63.
- (19) تعرف بالمدرسة الامريكانية تأسست سنة (1283هـ/1866م) كان من ابرز من التحقوا للتدريس فيها بعد تاسيسها الطبيب كرنيليوس فاندنيك (1234-1313هـ/1818-1895م) الامريكي المولد اللبناني النشأة ممن تآثر بهم شكيب ارسلان وبطروحاتهم ومولفاتهم. ماجد فخري، الحركة الفكرية وروادها اللبنانيون (1800-1922)، بيروت، دار النهار للنشر، 1992، ص59-64.
- (20) مدرسة الحكمة: مدرسة قام بتأسيسها المسلمون، تلقى فيها دروساً في اللغة العربية على يد الشيخ (عبد الله البستاني)، كما قام بتعلم اللغة التركية والفقه، وذلك بعد أن ضمتها الحكومة العثمانية للمدارس الأميرية.
- (21) الطائفة المارونية: اخذت تسميتها من اسم راهب وقديس مسيحي معروف باسم مارون عاش في المنطقة القريبة من نهر العاصي بلدة اقاميا القديمة، اسس ديرا خلال حياته باسم الدير الشرقي او بيت مارون فتآلب حوله في حياته عدد كبير من التلاميذ والمريدين وحتى بعد وفاته ظل الدير مركز لطائفة المرونية التي خرجت عدد كبير من الرهبان المتأثرين بافكار مارون، ربح المارونيين بالفتح الاسلامي للخلاص من حكم الروم البيزنطيين وشاركوا في كثير من احداث التاريخ الاسلامي بالمنطقة مع جيرانهم الدروز. ينظر اسعد جرمانوس، اصول المارونية وجذور الحريات اللبنانية، بيروت، دار المدار، 1996، ص19-22.
- (22) محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبدة، ط2، بيروت، دار الفضلية، 1: 399/2006.
- (23). المدرسة السلطانية: من المدارس التي اسستها جمعية المقاصد في بيروت سنة (1302هـ/1884م) وعهدت بإدارة المدرسة الى الشيخ حسين بن محمد بن الحاج مصطفى الجسر (1261-1327هـ/1845-1909م) كانت من اولى المدارس التي كان يدرس فيها الدين الاسلامي الى جانب العلوم والمعارف. فخري، الحركة الفكرية، ص24.
- (24). هو محمد بن أحمد بن اسماعيل بن أحمد المنيني ولد بدمشق وقرا على علمائها ثم تصدر للتدريس في المدرسة العادلةية كما تولى الخطابة في جامع بني امية وكان يدرس صحيح البخاري لمن فيه انتخب لمنصب الافتاء في الشام حتى وفاته. ينظر محمد خليل بن علي بن محمد المرادي الدمشقي، عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام، ط2، تحقيق: محمد مطيع ورياض عبد الحميد، بيروت دار ابن كثير، 1988، ص226، الترجمة 52.
- (25) خير الدين الزركلي، الاعلام، بيروت، دار العلم للملايين، 2002: 193/1.
- (26) الشرباصي، شكيب ارسلان، ص63؛ طاهر ذكرى الامير، ص9.
- (27). فخري، الحركة الفكرية، ص16.
- (28) ناصر الحكيم، جدلية الفكر والعمل عند الامير شكيب ارسلان دراسة تاريخية فكرية نقدية، لبنان، الدار التقديمية، 2010، ص63 - 66.
- (29) طاهر، ذكرى الامير، ص10.
- (30) الدهان، الامير شكيب ارسلان، ص20-34-43-52؛ طاهر، ذكرى الامير، ص15، 71، 70.
- (31) لويس شيخو، الاداب العربية في القرن التاسع عشر، بيروت، د.ط، 1: 69,70/1924.
- (33) جرجي زيدان، بناء النهضة العربية، القاهرة، دار الهلال، د.ت، ص8.
- (34) الشرباصي، شكيب ارسلان، ص91-100.
- (35) طاهر ذكرى الامير، ص13.
- (36) طاهر ذكرى الامير، ص9-13.
- (37) المدني، شكيب ارسلان، ص68.
- (38) طاهر ذكرى الامير، ص13.
- (40) الحكيم، جدلية الفكر، ص26.

- (41) الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية، بيروت، منشورات مكتبة الحياة، بدت ينظر المقدمة.
- (42) ارسلان، الحلل السندسية ، المقدمة.
- (43) المدني، شكيب ارسلان، ص 65.
- (44) الشرباصي، شكيب ارسلان، ص 59.
- (45) المدني، شكيب ارسلان، ص 66.
- (46) الحلل السندسية: 1/16، 15؛ الشرباصي، شكيب ارسلان، ص 65-75 .
- (47) لوثرود استودارد، حاضري العالم الإسلامي، ط 4، تعليق: شكيب ارسلان، القاهرة، مطبعة المنار، 1930 : 1/312.
- (48) المدني، شكيب ارسلان، ص 76.
- (49) الحكيم، جدلية الفكر، ص 158-162.
- (50) طاهر بركري الامير، ص 338؛ الشرباصي، شكيب ارسلان، ص 78.
- (51) لماذا تأخر المسلمون؟، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1936.
- (52) الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى اقدس مطاف، القاهرة، مطبعة المنار، 1930.
- (53) عبدالله بن المقفع، الدرة البتية من حكم الكاتب البليغ الأشهر عبدالله بن المقفع، تحقيق: شكيب ارسلان، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1933؛ طاهر، بركري الامير، ص 74.
- (54) زين الدين بن تقي الدين بن عبد الرحمن الخطيب، محاسن المساعي في مناقب ابي عمرو الازاعي تحقيق: شكيب ارسلان، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1933.
- (55) المختار من رسائل ابي اسحاق الصابي، تحقيق: شكيب ارسلان، لبنان، ب مط، 1898.
- (56) طاهر بركري الامير، ص 74-76.
- (57) الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية، بيروت، منشورات مكتبة الحياة، د. ت. * الحلل الاندلسية وهي معلمة اندلسية تحيط بكل ماجاء عن بلاد الاندلس فيه بحث عن جغرافية هذه المدن وتاريخها، واداب وتراجم يصح فيه المؤلف اغلاط المؤرخين والكتاب من العرب والاجانب، ويضم اطالس وصور نادرة النقطها شكيب ارسلان في رحلته. ينظر طاهر بركري الامير، ص 75.
- (58) المدني، شكيب ارسلان، ص 75.
- (59) سعيد عبدالفتاح عاشور، تاريخ اوربا في العصور الوسطى، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1972، ص 66 وما بعدها.
- (60) الحلل السندسية مقدمة المؤلف: 1/5 وما بعدها.
- (61) دولة الاسلام في الاندلس، ط 4، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1997.
- (62) الحلل السندسية: 1/18؛ طاهر بركري الامير شكيب، ص 14.
- (63) الحلل السندسية: 3/553.
- (64) الحلل السندسية: 3/548، 549. * أبي الفضل الوليد إلياس بن عبدالله بن إلياس بن فرج بن طعمة شاعر لبناني ولد في المتن يعد من ابرز شعراء والادباء في المهجر الأمريكي. ينظر الزركلي، الاعلام: 2/10.
- (65) الحلل السندسية: 3/550-552.
- (66) شكيب ارسلان، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1933.
- (67) المدني، شكيب ارسلان، ص 76.
- (68) طاهر بركري الامير، ص 75.
- (69) الكونت دي شاتوبريان، ترجمة: شكيب ارسلان، ملحق به خلاصة تاريخ الاندلس لشكيب ارسلان مع كتاب نبذة اخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر لمؤلف مجهول، واثار تاريخية رسمية في اربعة كتب سلطانية اندلسية، ط 2، القاهرة، مطبعة المنار، 1925.
- * مؤلف الرواية هو فرانسوا رينيه شاتوبريان من ادباء فرنسا في (القرنين 18-19م) وقد ألف هذه الحكاية لأنتشار مثل هذه الحكايات وبداية ظهورها في أوروبا وهي ليس ذات سند تاريخي حقيقي كما يذكر شكيب ارسلان في ترجمته إنما مجرد قصة.
- (70) المدني، شكيب ارسلان، ص 75.
- (71) عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي، تاريخ ابن خلدون جالمسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصريهم من ذوي السلطان الاكبر، ملحقاً للجزء الاول يشتمل على ما علق به من غوامض ابجائه الامير شكيب ارسلان، مصر، مطبعة الرحمانية، 1936 .

(72) المدني شكيب ارسلان، ص76، 75؛ طاهر بركري الامير، ص76، 14.

(73) المدني شكيب ارسلان، ص76.